



جمهورية مصر العربية  
جامعة الزقازيق  
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

# مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

<http://www.east.zu.edu.eg>

الزقازيق

العدد الثانى - السنة الثانية - أكتوبر ٢٠١٦ م - الجزء الأول

رقم الإيداع: ١٨٤٣٥١ - الترميم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمى الدولى

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣-١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم-جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

# التبادل الفكري و الثقافي و الحضاري و المؤثرات المتبادلة بين بلاد الرافدين و بلاد النيل

م. م. ليث العتابي

كلية الامام الكاظم ع للدراسات الاسلامية  
بغداد - جمهورية العراق

أ. م. د. حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة  
جامعة الكوفة-جمهورية العراق

## التبادل الفكري و الثقافي و الحضاري

### و المؤثرات المتبادلة بين بلاد الرافدين و بلاد النيل

م. م. ليث العتابي

كلية الامام الكاظم ع للدراسات الاسلامية  
بغداد - جمهورية العراق

أ. م. د. حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة  
جامعة الكوفة-جمهورية العراق

#### المقدمة:

للإنسان أصل واحد، أب واحد، و أم واحدة، ثم تكاثر و تشعب، و تنوع و اختلف، و اختلفت لغاته و لهجاته و ألوان بشرته لحكمة إلهية بالغة.

قال تعالى: (( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ )) سورة الروم، الآية (٢٢).

و قال تعالى: (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )) سورة الحجرات، الآية (١٣).

و حقيقة أن مرّد الإنسان إلى أصل واحد هي حقيقة لا جدل فيها إلا من قبل المنكرين للحقائق العقلية ممن لديهم حساسية تجاه الدين.

فمهما اختلفت و تنوعت الحضارات الإنسانية فهي في أصلها ترجع إلى أصل إنساني واحد.

فالحضارات تمر بدورات تاريخية صعوداً و نزولاً مع تثبيت حقيقة أن الشرق هو منبع و مهد

الحضارات.

إن الشرق الحضاري كان و لا زال سحره يأخذ بالعقول، فهو مهوى النفوس، و ملاذ الطالبين، و

مكمن الأسرار.

إن لسحر الشرق نشوة تأخذ بلب كل ذاكِر له أو متحدثٍ عنه، فرغم الحروب و الصراعات، و

رغم التطور و التقدم الغربي، إلا أنه يبقى الشغف إلى الشرق هو مطلب الملايين من سكان أوروبا و

الغرب، بل كل من لا يعيش في الشرق.

لقد ظهرت في الشرق الأوسط . بالتحديد الواسع للمكان . حضارات عديدة، برز منها اسمان لا

يتغيران رغم تغير السكان، و الحكومات، و غير ذلك، ألا و هما: ( حضارة وادي الرافدين ) أو أرض

الرافدين، و ( حضارة وادي النيل ) أو حضارة النيل .

حضارتان كانت قد أثارتا حسد الحاسدين، و طمع المستعمرين، و أسالت لعاب السارقين و

المغامرين.

في هذا البحث سوف أحاول تناول المشتركات الثقافية بين الحضارتين بما يتناسب و مقررات المؤتمر، و بما يناسب الحجم الكتابي المطلوب، و بما يحقق الفائدة و يبتعد عن الإسهاب و عن التحليل التاريخي و العلمي المطول. داعياً من الله تعالى التوفيق إنه نعم المولى و نعم النصير.

## الاتصال الثقافي:

### ( التثاقف ) و ( المتأقفة )

إن معنى ( التثاقف ) ( المتأقفة ) هو تأثير الثقافات بعضها ببعض، نتيجة الاتصال بين الشعوب و المجتمعات، مهما كانت طبيعة هذا الاتصال و أهدافه، و ثمة مفهوم آخر مرادف لكلمة ( المتأقفة ) هو ( المناقلة الثقافية ) ( Transculturation ).

ف( التثاقف يشمل الظواهر التي تنجم عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في الثقافة، مع ما تجره هذه الظواهر من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية، لدى إحدى المجموعتين أو كليهما )<sup>(١)</sup>.

ف( المتأقفة ) تقوم على فعل احتكاك مجتمع أو مجموعات اجتماعية ما بملامح أو سمات ثقافية وافدة من مجتمعات اخرى تفرض عليها أو تقوم بتمثلها والتفاعل معها واستيعابها وتقبلها. وبمثل هذا الفعل تنمو المعارف والخبرات وتتطور العلوم والفنون والمهارات. فالمتأقفة تتيح للفرد والجماعات فرصة اكتساب قيم وعادات وتقاليد جديدة وفق درجة الانفتاح على الآخر والاستعداد للتفاعل معه. ( ولا يدلّ التثاقف على ظاهرة محدّدة، بل يدلّ في استخدامه العام على اتّجاه عادي تقوم عليه كلّ المجتمعات: التغيّر الاجتماعي ).<sup>(٢)</sup>

في الحقيقة ما من مجموعة بإمكانها العيش بمعزل عن المؤثرات الخارجية أبداً مهما كانت درجة انعزالها.

إن من سمات الثقافة ( الاستمرار ) و ( التراكم ) و ( التغير )، فإن ثقافة كل شعب تتعرض إلى الحذف والإضافة والتجديد وفقاً للمراحل الزمنية . و التغير- الحاصل . يكون بفعل عوامل داخلية تخص

(١) هرسكوفيتز، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة الدكتور "رياح النفاخ"، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م، ص ٢٢١ .

(٢) ج . ف . باري، معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة : مصباح الصمد، ط١، ٢٠٠٦، بيروت . لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع " مجد "، مادة ( ثقافت ) . ج . ف . دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة : جورج كتورة، ط٢، ٢٠١١، أبو ظبي . الإمارات العربية المتحدة، بيروت . لبنان، كلمة و مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

المجتمع ذاته، و خارجية قادمة منتشرة عن طريق عوامل الانتشار الثقافي و منها (التجارة) و (الهجرة) و (الاستعمار) بكل أشكاله، فضلاً عن (وسائل الاتصال).

إن هذا يجعل ثقافة الشعوب تحتك وتتفاعل مع الثقافات الإنسانية الأخرى لتكتسب سمات جديدة وتفقد أخرى بفعل هذا التلاحق الثقافي (التثاقف أو المثاقفة)، ومن ثم (الاستعارة) و (الاقتباس الثقافي).

### الانتشار الثقافي:

إن الانتشار يعني انتقال أدوات أو تطبيقات أو أفكار معينة من مجتمع إلى آخر، أما عن طريق التجارة أو الاتصال المنظم أو العرضي.<sup>(١)</sup>

فالعناصر الثقافية تنتقل من موطن إلى آخر بتأثير بعضها في بعض، كما أن الحضارات بكلبتها تتواصل وتتفاعل وتتبدل، وهذه الخاصية أساسية في خواصها، مستمدة من كيانها الإنساني والاجتماعي.<sup>(٢)</sup>

إن لعامل الحاجة دوراً مهماً في تقارب الثقافات، حين يدعو إلى خلق تفاعل بين ( الحريات الثقافية) و (الأصالة) و ( التراث الثقافي )، و بين ( الثقافة المحلية ) و ( الثقافات الإقليمية )، وتمهد السبيل لخلق الانفتاح من دون التأثير الأحادي الجانب من الثقافة المحلية فقط، بحيث يفقد هويتها ومعطياتها على أساس التفاعل المشترك والاستفادة من الومضات اللامعة في الثقافات الأخرى التي يمكن أن تثري وتعزز مسيرة الثقافة المحلية.<sup>(٣)</sup>

إن ثقافة أي بلد من البلدان أو أية امة من الأمم . وعلى الأغلب . تضم دوائر ثلاثا متداخلة مع بعضها البعض . فالدائرة الأولى هي دائرة ( الثقافات المحلية ) التي لا تخلو من تنوع هم مصدر للغنى والخصب، والدائرة الثانية هي دائرة ( ثقافة الأمة ) أو الدولة المعنية بكاملها، وتضم أنماط السلوك المادي والمعنوي التي تميز أية امة من الأمم عن سواها، أما الدائرة الثالثة فهي دائرة (الثقافة العالمية) التي تتفاعل مع الثقافة القومية وتمنحها القدرة على الحياة عن طريق تجديدها، والتقدم العلمي التقني،

(١) كلايد كلاكهون، الإنسان في المرأة، ترجمة : شاكرا مصطفى سليم، ص ١٤٤ .

(٢) محمد خلف جواد، العلاقة الإشكالية بين الثقافي و الغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، عدد ١٧٦، ١٠، ١٩٩٣ م، ص ٧١ .

(٣) قضايا العولمة المعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر، دار اسامة للنشر و التوزيع، الأردن، ٢٠٠٣ م، ص ٥١ - ٥٢ .

وثورة المعلومات والاتصال بوجه خاص، وتحول العالم إلى قرية واحدة تؤدي كلها إلى اتساع الدائرة الثالثة ( دائرة الثقافة العالمية ).<sup>(١)</sup>

وهكذا فان انتشار العناصر الثقافية مهما كانت أسبابه وعوامله فإنه سيحمل في طياته (الانصهار) و (الحذف) و (الإضافة)، التي ستتجلى في المنظومة القيمية والفكرية للمركب الثقافي لأي شعب من الشعوب، و لأي مجتمع من المجتمعات.

### التشابه بين الثقافات:

منذ وقت مبكر التفت علماء الأنثروبولوجيا إلى ظاهرة التشابه بين الثقافات، مع أن هذه الثقافات تنتمي إلى مجتمعات متعددة و مختلفة من أبعاد عديدة: دينية، و ثقافية، و لغوية، و عرقية، و جغرافية، و تاريخية.

وقد استوقفت هذه الظاهرة اهتمام الأنثروبولوجيين الذين وجدوا فيها ما يغري بالبحث، ويساعد على تطوير الفهم لفكرة الثقافة، وفحص بنياتها الداخلية، وحركيتها الخارجية.

فمع اتساع الاهتمام بهذه الظاهرة تعددت وجهات النظر عند الأنثروبولوجيين، وانقسمت إلى اتجاهات مختلفة. فهناك من يرجع هذه الظاهرة إلى التشابه في العقل البشري الذي يعمل بالطريقة نفسها في الظروف المتشابهة، ويذهب إلى هذا الرأي ( تايلور ) ويطلق على هذا التشابه ( الوحدة النفسية للجنس البشري )، فكل المجتمعات حسب رأيه لها القدرات العقلية نفسها، وعندما تواجه هذه المجتمعات معضلات متشابهة فإنها تصل إلى معالجات متشابهة.

وهناك من يرجع التشابه بين الثقافات إلى تأثير ثقافة واحدة على جميع الثقافات الإنسانية الأخرى.

وهناك من يرجع ذلك التشابه ليس إلى ثقافة واحدة، أو مركز حضاري واحد، و إنما إلى عدد من الثقافات التي لعبت دور المناطق الثقافية المحورية في التأثير على باقي الثقافات الأخرى. إلى جانب من يرجعها إلى التأثير المتبادل بين الثقافات و المجتمعات الإنسانية. هذا التشابه بين الثقافات أوصل علماء الأنثروبولوجيا إلى فكرتين متعارضتين، دارت حولهما نقاشات جادة، بين من يرى أن هذا التشابه يكشف عن وجود قوانين كلية تحكم الثقافة الإنسانية و تسيرها نحو مراحل ثابتة من التطور بطريقة

<sup>(١)</sup> عبد الله عبد الدائم، دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ١٥١ - ١٥٢.

متابعة وحتمية، تجعل من ثقافة كل مجتمع مهما كانت هويته ومكوناته أن تسلك مساراً واحداً، وسياًقاً ثابتاً متعاقب المراحل، وبين من اعترض بشدة على هذه الفكرة كالرأي الذي اشتهر به (فرانز بواز) بأن ليس هناك صيغة واحدة وثابتة للتطور الثقافي تنطبق على جميع المجتمعات دون استثناء في الماضي والحاضر.

### الاحتكاك والانتشار الثقافي:

إن احتكاك الثقافات المختلفة و الاتصال فيما بينها يؤدي إلى انتقال الكثير من عناصر الحياة الاجتماعية، وبالتالي يؤدي إلى إحداث عملية تغير اجتماعي في نواحي الحياة المختلفة .

إن التطور الكبير في وسائل الاتصال في الوقت الحاضر سهّل عملية الاتصال بين الشعوب مما أثر بشكل مباشر على سرعة عملية التغير الاجتماعي من خلال انتقال الأفكار والعادات والتقاليد.

والإسلام جعل الاحتكاك و الاتصال الحضاري بين الشعوب و الثقافات سنّة من سنن الله عز وجل في خلقه. قال تعالى: (( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا )) سورة الحجرات، الآية ( ١٣ ).

فحضارة الإسلام لم تكن حضارة منغلقة على نفسها، بل كانت حضارة منفتحة على حضارات شعوب العالم لأنها رسالة إنسانية عامة فضلاً عن أنّ الإسلام عدّ الانفتاح عاملاً أساسياً للشراء و التطور الحضاري فجعل ( الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا )<sup>(١)</sup>.

فالتثاقف يشمل الظواهر التي تنجم عن الاحتكاك المباشر و المستمر، بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في الثقافة، مع ما تؤديه هذه الظواهر من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية، لدى إحدى المجموعتين أو كليهما.

رغم أنّ بعض الباحثين يؤيدون بأن كلمة ( المناقلة ) الثقافية، تعبّر بشكل أفضل عن مراحل سياق الانتقال المختلفة، من ثقافة إلى ثقافة أخرى.<sup>(٢)</sup>

### حضارة وادي الرافدين:

(١) من كلام مولى الموحدين علي بن أبي طالب ( عليه السلام )، أوردها الترمذي برقم ( ٢٦١١ ) .

(٢) ليث العنابي، علم الإنسان القرآني، مقال منشور في مجلة الولاية، العدد ١٨، لسنة ٢٠١٥ م .

## سمات و ملامح عامة:

إن السومريين ٨٠٠٠ ق.م وصولاً إلى الآشوريين ٢٠٠ ق.م، لهم إسهام رائع مميز في تطور تاريخ وحضارة البشرية عموماً، فكانت أبجدية الكلمة والقراءة والكتابة المسمارية في العراق القديم، قبل ظهور الكتابة الهيروغليفية الفرعونية المصرية بآلاف السنين، وعلى أرض الرافدين نشأت الرياضيات ووضع التقويم السنوي، وعلى أرض العراق القديم ولدت أول ميثلوجيا عرفها الإنسان في التاريخ ملحمة كلكامش، وبناء أول معبد كهني للمقدس الديني (الزقورات) وفي مدينة أور كان أبو الأنبياء إبراهيم، وسبقه تبلور لاهوت ديني كهني متكامل، في ظل نواة ركائز دولة ومؤسسات زراعية وحرفية، وكان هناك إرهاصات بمعرفة التمايز الطبقي وتفريق الملكية العامة عن الملكية الخاصة، بروز التدوين وتشريع القوانين (مسلة حمورابي) التفريق القضائي بين حقوق الفرد وواجباته، والتمدن الحرفي والمهني والتمركز التجاري، تشكيل الأسرة والسلالة، نشوء الآداب والملاحم الشعرية والموسيقى والرقص وادوات العزف كالقيثارة السومرية، ظهور أول استيطان سكاني زراعي بشري في التاريخ، وإضافة على كل ما سبق فإن حضارة وادي الرافدين هم أول من اعتمد الرياضيات والحساب (تجريبياً) وهذه نقلة نوعية في علم الرياضيات والهندسة وقد اكتشفت رقم طينية في منطقة نينوى شمالي الموصل عاصمة الآشوريين مثبت عليها كشوفات في علم الحساب وهناك رأي يذهب أن البابليين هم أول من أوجد المثلث القائم الزاوية واستخدموا مقياس النسبة الثابتة هندسياً (٧/٢٢) أو (٣.١٤) قبل مجيء رياضيات فيثاغورس و كوبونيكوس، وقد أشار أحد المستشرقين إلى دقة هندسة الهرم الفرعوني على أساس من اعتماد المثلث القائم الزاوية أحد إبداعات حضارة وادي الرافدين في علم الهندسة، وقد اعتمد فيثاغورس المثلث القائم الزاوية في نظريته المشهورة بأن مجموع مربعي ضلعي المثلث تساوي مساحة مربع المثلث القائم على الوتر. كما يشير المفكر الموسوعي الدكتور علي الشوك في كتابه ( ملامح من التلاقح الحضاري بين الشرق والغرب الذي نشرته منظمة يونسكو - سلسلة كتاب في جريدة. أن فيثاغورس أمضى سنوات من عمره في مصر وبابل، وأن نظريته الهندسية المقترنة باسمه كانت معروفة في نطاقها أو إطارها التطبيقي وليس النظري، في بابل ومصر، ثم يضيف دكتور علي الشوك قائلاً : كنت أقرأ قبل أيام في تاريخ أكسفورد للموسيقى إسهاماً للعلامة هنري جورج فارمر، عن موسيقى وادي الرافدين القديمة، فإذا بي أقف على هذه الشهادة ( لعل أكبر مثال صارخ على البصمات الرافدينية في الموسيقى اليونانية هو التراث الفيثاغوري، وقد أشار كتاب من اليونان وفارس إلى أن فيثاغورس كان لبناني المولد بعضهم يقول من صور والبعض الآخر من صيدا، ثم ذهب إلى مصر وأقام بها إحدى وعشرين سنة، ثم أسره ( قمبيز ) وجيء به إلى بابل وهناك تلقى علومه على يد الكهنة وبعد بابل أقام في ساموز، جزيرة يونانية تقع على الساحل التركي الغربي، حيث انعم عليه بلقب (سوفوز) أي حكيم، وبالأكاديمية أشيفو Ashipu

توقفت هنا مذهولاً أمام هذه الشهادة، واعدت قراءة المقطع من جديد\_ والكلام للدكتور علي الشوك\_ ثم استوقفتني من جديد الكلمات الاتية: الكهنة، كهنة بابل، كلمة سوفوز اليونانية ، وقرينتها الأكادية كلمة (( اشيفو )) Ashipu وهو المطلوب .الظاهر، أن اللفظة اليونانية مأخوذة من هذه الكلمات البابلية وهكذا عادت بضاعتنا إلينا، بثوب اخر، فالفلسفة كلمة نصفها يوناني (( فيلو )) Philo ونصفها الاخر بابلي ((سوفيا)) Sophia وهي مساهمة عادلة وحق يقال. كما ان الحضارة الفينيقية (سواحل سورية ولبنان وفلسطين)هي الاخرى بعد حضارتي وادي الرافدين والفرعونية المصرية لعبت دورا مؤثرا من خلال تأصيل معتمد على تجسيد دائم من قبل ثقافة اليونان وروما البيزنطية والاسلام إلى يومنا هذا ومن المرجح ان اسس الثقافة العلمانية في سوريا ولبنان تنطوي على خصائص في الحضارة الفينيقية القديمة. فالفينيقيون كانت لهم الحصّة الكبيرة في حضارة قرطاجة وكريت. فهم اكثر الروافد التي غذت الثقافة الاغريقية، كما كان فضل الفينيقيين بارزا في نقل ميثولوجيا وابجدية الشرق الاوسط إلى الاغريق.

يقوا الأستاذ ( طه باقر ): ( بعد أن قضى الإنسان القسم الأعظم من حياته في أطوار التوحش والهمجية، فيما يسمى بعصور ما قبل التاريخ التي استغرقت أكثر من ٩٩% من حياة الإنسان والتي تقدر بنحو مليوني عام دخلت البشرية في أخطر تجربة وامتحان لا تزال تعانيهما بانتقالها إلى طور الحضارة الناضجة، و قد تحقق ذلك لأول مرة في تاريخ الإنسان بانتقال وادي الرافدين و وادي النيل أواخر الألف الرابع قبل الميلاد إلى حياة التحضر المدنية ).<sup>(١)</sup>

أما ( كريمر ) فيقول: ( و لدينا من الأسباب المعقولة ما يحملنا على الاستنتاج، أنه ظهر في غضون الألف الثالث قبل الميلاد طائفة من المفكرين والمعلمين السومريين حاولوا أن يصلوا إلى إجابات مرضية عن المسائل التي أثارها تأملاتهم في الكون وأصل الأشياء فكونوا آراء وعقائد في أصل الكون والإلهيات اتسمت بقدر عظيم من الإقناع العقلي، وأصبحت آراؤهم ومعتقداتهم فيما بعد عقائد ومبادئ أساسية لكثير من شعوب الشرق الأدنى القديم ).<sup>(٢)</sup>

وتقول الباحثة ( مارغريت روتن ): ( إن البابليين الكلدانيين هم البادئون الأوائل، بل معلوم اليونان، وأنهم توصلوا منذ تلك العهود السحيقة في القدم إلى مستوى لم يتخطه غيرهم إلا خطوة، خطوة

(١) طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد ١٩٧٦ م، ص ٣٣.

(٢) صمويل كيرمر، من ألواح سومر، ترجمة : طه باقر، مكتبة المثني، بدون تاريخ.

خلال عصور مديدة . وإن اليونانيين كانوا يضعون أنظمتهم من خلال اطلاعهم على من سبقهم، في حين أن العراقيين كانوا مستقلين في أنظمتهم (١).

أما ( بارو ) فيقول: ( لقد أولدت بلاد ما بين النهرين ووادي النيل أعظم حضارتين في العالم. والحديث عن أيهما ظهر بالأول لا يخدم سوى غرض ضئيل، و لكن يبدو الآن محتملاً بصفة عامة أن بلاد الرافدين سلكت الطريق بصفة أسرع قليلاً، و أنها وهبت في عصر متقدم أكثر مما أخذت(٢)

## نوع و طبيعة العلاقات المتبادلة:

### بين بلاد الرافدين و بلاد النيل:

يورد كُتاب التاريخ بأن العلاقات ما بين بلاد الرافدين و بلاد النيل ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وإن ما يميز العلاقة بين أي بلدين هو وجود التبادل التجاري، والتأثر الثقافي من خلال انتقال العادات و التقاليد بينهم والتي تصل إلى حد الإشتراك، مما حدى بالبعض ومن كلا الطرفين بأن يسم حضارته ب( أم الحضارات )، وكل واحد يورد أدلة أسبقية حضارته على غيرها، رغم أن أصل الحضارة هو ( الإنسان ) أياً كان مكانه، أو لونه.

نعم، ترجع علاقات بلاد الرافدين و بلاد النيل إلى عصور ما قبل ( الأسر الحاكمة )، فقد كان هناك تشابه كبير في فنون كلا البلدين، وتشابه في البناء والعمارة، و تشابه في المقابر ومدافن الموتى، وفي الأختام الأسطوانية، وبالخصوص في تمثيل الحيوانات بأسلوب ضخم وأسطوري واضح . يذكر الآثاري الانكليزي ( ستيون لويد ): ( أن أحد مظاهر التأثير هو تأثير معابد بلاد الرافدين المبنية من القرميد على التصميمات المعمارية لقبور عصر ما قبل السلالات الفرعونية في مصر(٣)

وعلى هذا أتجه أحد الباحثين إلى القول: ( أن فكرة الهرم المدرج مستوحاة من الفن العراقي القديم والمتمثل في شكل الزقورات )، و قيل بالعكس، إلا أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة مستفيضة.

لقد ( أبانت الدراسات و الكشوف و البحوث العلمية في أواسط القرن الماضي أن كافة منجزات الحضارة السومرية من الفنون و العمارة و النحت و الكتابة وغيرها نقلت إلى بلاد النيل بشكل كامل الأمر الذي

(١) هنري فرانكفورت، فجر الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة : ميخائيل خوري، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ستيون لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة : محمد طلب، مطبعة الشام، ١٩٩٢ م، ص ٨٥

أعتبر الأساس الذي بنيت عليه هذه الحضارة. وقد تمت عملية الانتقال هذه عن طريقين : الاحتكاك التجاري، ثم عن طريق العمال المهرة المتجولين الذين كانوا ينحدرون إلى مصر عن طريق بلاد الشام و فلسطين، أو عن طريق الإبحار حول الجزيرة العربية والبحر الأحمر، و كانوا يقومون بهذا الارتحال في الأغلب الأعم ليس إلى وادي النيل فحسب بل إلى مختلف مناطق العالم القديم طلباً لتحسين ظروف عيشهم عن طريق العمل أو للتجارة فقد شوهدت أنواعاً من الفخار الذي كان يصنع في سامراء في الألف السادسة قبل الميلاد في شمال بكنين ويعود تاريخ هذا الفخار إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، أي أن هذا الفخار العراقي ظهر هنا بعد ألف عام، الأمر الذي يدل أو يؤكد أن عملية الانتقال للعمال أو التجارة كانت شائعة و مستمرة بين مناطق وحضارات العالم القديم. و نحن بهذا لا ننتقص من قيمة الحضارة المصرية في التاريخ القديم، ولكن ما أثبتته العلم الآثاري المتخصص في هذا الشأن هو مدى التأثير الكبير الذي شكله الرافد السومري في بنية الحضارة المصرية، و لا يشذ عن ذلك التأثير شبه الكامل والمنهجي للكتابة السومرية في الكتابة الهيروغليفية التي اعتمدت في تطورها على ذات النسق الذي اعتمدته الكتابة السومرية في صورتها القديمة البدائية التي كانت تعتمد على الصورة ثم انتقلت إلى الرمزية المقطعية).<sup>(١)</sup>

### أمثلة على التأثر و التأثير المتبادل:

أنه بعد حقب و فترات يبدو أن الأتصال قد توقف قليلاً لفترة ما، إذ يبدو بأن مصر قد انطوت على نفسها، كما و يبدو أنها اكتفت بالعلاقات التجارية فقط. و يمكن أن نجمل أنواع من التبادل، و التداخل ما بين الحضارتين ( بلادي الرافدين و بلاد النيل ) بالشكل الآتي:

١. التأثير بالكتابة السومرية القديمة لتظهر إثر هذا التأثير الكتابة الهيروغليفية.

يقول صموئيل كريم: ( لا نعلم بالضبط صلة الخط المسماري بالخط الهيروغليفية من ناحية الأصل و المنشأ و لكن يرى بعض الباحثين احتمال أخذ الحافز من الخط المسماري في نشوء الخط الهيروغليفية. و الجدير بالذكر عن سعة انتشار الخط المسماري أن المصريين القدماء استعملوه مع اللغة البابلية في مراسلاتهم الدبلوماسية مع أقطار الشرق الأدنى في العهد المعروف بمصر بعصر العمارة في تاريخ مصر في القرن الرابع عشر ق . م .).

٢. تطور بناء المصاطب والزقورات وعلاقتها بالأهرامات.

(١) سلام طه، التأثير الرافديني في حضارة وادي النيل، موقع الآثاري العراقي ببنام أبو الصوف.

يقول الآثاري الانكليزي ( ستيون لويد ): ( أن أحد مظاهر التأثير هو تأثر معابد بلاد الرافدين المبنية من القرميد على التصميمات المعمارية لقبور عصر ما قبل السلالات الفرعونية في مصر). (١)

٣. عن بلاد الرافدين أخذت مصر استخدام الأختام.

( الخاتم الأسطواني يظهر في أقدم العهود المعروفة من تاريخ مصر، ثم يختفي، و قد كان أسلوباً قديماً دخليلاً استبدل به أسلوب وطني أصيل. و ليست عجلة الفخرازي معروفة في مصر قبل عهد الأسرة الرابعة أي بعد أن ظهرت في سومر بزمان طويل، و لعلها جاءت إلى مصر من أرض النهرين مع العربات و العجلات ). (٢)

٤. عن بلاد الرافدين أخذت مصر فن رسم الحيوانات المجنحة.

٥. في عهد ( تحتمس الثالث ) امتدت الفتوحات المصرية إلى بلاد الرافدين.

٦. في أواخر الدولة الحديثة استولى ملك آشور على مصر لفترة قصيرة، حتى نجح الملك (أبسماتيك ) من طرد الآشوريين من مصر.

( إن مدونات فتوحات سرجون باتجاه الغرب و فتحه أو إعادة فتحه مصر موجودة في النسخ الرسمية القديمة لمراسيمه و حولياته في أرشيفات معبد الشمس الأقدم في وادي الرافدين في نُفَّر Nippur ... و كررت فيما بعد في جداول العرافة البابلية و التي أوردت تواريخ تلك الفتوحات مع مصدر سنة بداية عهده، و التي وجدت الآن لتبدأ نحو عام ٢٧٢٥ ق . م ) (٣).

٧- إن المقصورة المزخرفة التي عثر عليها في تل أوتير بجنوب بلاد الرافدين تشابه تقريباً رسوم ( هيراكونبوليس ) بمصر العليا، و هما من أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد ( ٣٢٠٠ ق. م ) على وجه التقريب.

## مصادر ومراجع البحث:

١- أ . وارل ، الأصول السومرية للحضارة المصرية ، ، ترجمة : زهير رمضان ، الناشر: الاهلية للنشر والتوزيع الطبعة: الاولى ١٩٩٩ .

(١) ستيون لويد، المرجع السابق، ص ٨٥

(٢) سلام طه، المرجع السابق.

(٣) أ . وارل، الأصول السومرية للحضارة المصرية، ترجمة : زهير رمضان، ص ٤١ .

- ٢- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد ابراهيم الناشر: دار الكتاب العربي - دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الاولى ٢٠٠٧.
- ٣- ج . ف . باري ، معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا ، ترجمة : مصباح الصمد ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، بيروت . لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع " مجد " .
- ٤- ستيون لويد ، أثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، ترجمة : محمد طلب ، مطبعة الشام ، ١٩٩٢ م .
- ٥- ج . ف . دورتيه ، معجم العلوم الإنسانية ، ترجمة : جورج كتورة ، ط ٢ ، ٢٠١١ م ، أبو ظبي . الإمارات العربية المتحدة ، بيروت . لبنان ، كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
- ٦- سلام طه، التأثير الرافديني في حضارة وادي النيل ، موقع الآثاري العراقي بهنام أبو الصوف . الشبكة العالمية للانترنت .
- ٧- صمويل كريم ، من ألواح سومر ، ترجمة : طه باقر ، مكتبة المثلى ، بلا تاريخ .
- ٨- طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، بغداد ١٩٧٦ م .
- ٩- عبد الله عبد الدائم ، دور التربية و الثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت . لبنان ، ١٩٨٨ م .
- ١٠- علي عبد الله الجباوي ، علم خصائص الشعوب ، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧ م .
- ١١- كلايد كلاكهون ، الإنسان في المرآة ، ترجمة : شاكرا مصطفى سليم ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد - نيويورك ، مطبعة أسعد ، بغداد، ١٩٦٤ م .
- ١٢- لويجي كافالي سفورزا ، الجينات و الشعوب و اللغات ، ترجمة : أحمد مستجير الناشر : المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ، الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ .
١٣. ليث العتابي ، علم الإنسان القرآني ، مقال منشور في مجلة الولاية العدد ١٨ لسنة ٢٠١٥ م ، مطبعة الروضة ، النجف الاشرف .
- ١٤- محمد خلف جواد ، العلاقة الإشكالية بين الثقافي و الغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر ، ، مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت . لبنان ، عدد ١٧٦ ، ١٠ ، ١٩٩٣ م .
- ١٥- مفيد الزبيدي ، قضايا العولمة و المعلوماتية في المجتمع العربي المعاصر ، دار اسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٣ م .

١٦- هرسكوفيتز، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية ، ترجمة الدكتور "رياح النفاخ" ، وزارة الثقافة، دمشق  
١٩٧٤م .

١٧- هنري فرانكفورت ، فجر الحضارات في الشرق الأدنى ، ترجمة : ميخائيل خوري ،  
(بيروت، بلا.ت).